

احاطت بالحجاز منذ خلافة عثمان حتى قيام الدولة الاموية، لمكانة هذا الاقليم وتاثير آرائه وميوله في سائر الأقطار الاسلامية. فعمد الامويون الى اساليب خاصة لتحقيق هذه العزلة كان في مقدمتها نقل عاصمة الخلافة إلى الشام. بحيث بات اقليماً عادياً، ثم احاط بنوامية هذا الاقليم بجو من الدعة حين هياوا له اسباب اليسار والثروة، وقد تلاقي هذا المنهج السياسي مع الشعور الذي كان يغمر الحجاز، فليكن اغراق في النعيم وتعويض عن وجاهة الزعامة، واتجه الشعر مع هذا الاتباع على الغزل، يرى فيه الحجازيون وسيلة لعلاج مشاعر الحقد والفنوط. وان مؤلفي قصة الأدب في الحجاز في العصر الاموي يرأن ان الاماء وتأثيرها على الشعر كانت موجودة في العصر الجاهلي وفي الأدلة بأراءهما قد جاء بهذا الكلام" و الظاهر انه نشأفي البيئة الحجازية من تأثير الاماء اللواتي كن لا يتحررن ولا يبالغن في العفة وكن لا يأتين الى الحجاز من طرق شتى. وقال النابغة يمدح النعمان بأنه يبذل الاماء المنعمات في هياته جنبا الى جنب مع اهل الغلط الشداد: وشيوخ مدارس وجوقاته واجوائه واندائه و منتدياته في جميع مدن الحجاز ونواحيه كان لابد من ظهور فريق من الشعراء بجانب المغنفين والمغنيات. ويقدمون لهم احدث القصائد والمقطوعات التي تتناءل مع ذوق الخاصة وال العامة، ان شعر عمر بن ابي ربيعة واصحابه الحجازيين مع مداره علي الغزل فقط ومع قربه مرة من الخلاعة لم ينحط ابداً الى الفحش والمجون المحض الكثير، وجوده في غزل شعراء عهد العباسيين ثم من الجدير بالذكر ايضاً ان عمر بن ابي ربيعة واكثر شعراء الحجاز لاسيما مكة في زمن الامويين الى اوائل القرن الثاني امتنعوا عن باب الخمريات في شعرهم امتناعاً تماماً ولم يذكروا الخمر الا في التشبيه، وذلك مع ان شرب الخمر غير مجهول في ذلك العصر بالمدينة. ولم يكن عيش وشعر عمر الا في الغزل. فمن المعروف ان عمر بن عبدالعزيز نفاه الي جزيره دهلك لفروط تشبيهه بنساء ذوات الأخطار من اهل المدينة. ثم عفي عنه ومات بدمشق بعد المائة بسنين قليلة. ومن ميزات هذا الغزل عدم ثبات الشعراء علي امرأة واحدة بل كانوا دائمي النقلة كالنحلة من زهرة إلى اخرى مما دعا الي كثرة الأسماء عندهم كما سار اكثراهم علي نهج قصصي شأن بعض الشعراء الجاهليين، وأن كان بعض الدارسين يعدون عمر بن ابي ربيعة، مبتكرأ له مجازة للدكتور طه حسين الذي استنكر واستبعد ان يكون امري القيس رائد الاسلوب القصصي ومن البوادر الجديدة في الغزل الحسى الاموى كثرة الرسل والاشارة الى الرسائل الغزلية مع النساء. أما الشعر الغزلي الحسى او الصريح كما يسميه بعض الباحثين فهو يصور احساس الحب و مغامراته في المجتمع المتحضر الذى ظفرت فيه المرأة العربية بقدر كبير من التحرر، وكانت لا تضيق بما يقال فيها من غزل. ويتميز هذا العصر ببعده عن العواطف المجردة والتعبير عن الشهوات الحسية واهتمامه بمحاسن المرأة وجمالها الجسدي ووصف تمنع الشاعر بها. ويرى احد الباحثين ان المتمعن في شعر عمر بن ابي ربيعة لا يري تلك النزعه الحسية التي يشير اليها كثير من الدارسين، فغاية الشاعر الاولى كانت غاية فنية، يقصد بها أن يفلح في رواية تلك الحركة المادية النفسية للزائر العاشق، والمزورة المشدودة بين الحب والرجل. ولم يكن هم الشاعر ان يصف متعة او يتحدث عن شهواته، فالقصيدة تنتهي في اغلب الأحيان بالإشارة الى متعة حسية يسيرة لا تناسب مع الجهد الذي صوره الشاعر قبل. في هذا المجال يؤكّد الدكتور شكري فيصل: ان غزل عمر بن ابي ربيعة، فلم يبدأ عمر بها ولم ينطلق منها، ولم يجد انه مربوط ما ارتبط به الجاهليون. ومنها بدا وان عمر خالف عن سنة العربي الجاهلي، وأن هذه المخالفة كانت استجابة لهذه الحياة الحضرية التي كان يحياناً وتمثيلاً بها وتعبيرأ عنها" كان عمر يقتصر القصيدة على الغزل فلايكاد يقول الا غزلاً، ومع ان عمر بن ابي ربيعة لم يبتكر شيئاً من خصائص الغزل العامة، فإنه قد جمع معظم هذه الخصائص في شعره واجري الغزل في قصص وحوار حيناً وفي نقاش وامتناع حيناً آخر. ومثل ذلك فعل نفر كثيرون من الشعراء المغامرين الذين كانوا يتبعون الجمال ويهيمون بالمرأة هيااماً يجرون فيه على مقتضي الطبيعة البشرية لأننا نستطيع ان تنفذ منه الي معرفة كثير من المحرّكات النفسيّة للمجتمع العربي في مكة والمدينة وما أصابه من تبدل تحت تأثير الحضارة الجديدة، ذاتاً لنا بواسطة هذا الحوار المفتوح في الديوان بين السيدات على جماله وفتنته ان نتعرف الي كثير من جوانب الحياة المعاصرة له، وايضاً فانه كشف في احاديثهن عن جوانب كثيرة من نفسياتهن وما يتغلغل فيها من ترهات وخلجاف ووجدانات. ولكن سقط في اثناء ذلك كل ما يصور المرأة المعاصرة له في مكة والمدينة بواسطة هذه الأحاديث التي يجريها بين النساء أو هذا الحوار الذي يلفت كل من يقرأ غزله. وبما كانت هذه هي الخاصة الثانية الكبيرة في ديوانه: ففيه حوار مفتوح لainصب معينه ولا تجف قطراته في نفسه. ومن هنا كان لغزله طابع ثان يخالف فيه طابع الغزل العربي كله الا ما يأتي نادراً، وانما جاء بهن ليعبرن عما ينفتح من لوعج الحب فيهن، تتردد الأحاديث بينهن في فنه واغرائه واما القصص والحوار فناخذهما بمعناهما العام، فلانفني الرواية بكل ما فيها من فنٍ قصصيٍّ وعقدةٍ ومتعةٍ فيينة، انما يعني الحديث المنظوم الذي يكاد يتفرد فيه ابن ابي ربيعة. وهذا الحوار معروف في الادب الجاهلي، فقد أتى امرؤ القيس بالقصص والحوار في شعره، الا ان ابن ابي ربيعة قصد الى ذلك قصداً وجعله

قوام فنه الشعري، والقى على حلاوة وبلادة لم تجتمع لغيره. ويقوم ابداع عمر في فنه هذا بأن تجرى فيه الدقة الواقعية، ويتفزلن به اكثر مما يتغزل بهن، ويلقين عليه النعوت الجميلة فكان عمر لا يهتم للفن الشعري بقدر ما يهتم لأدخال لغة النساء فيه: في قصصه وحواره فيكثر من القسم وشهاد الله والاستخلاف، وما تعوده من الجلوس مع المرأة في عصره. فنحن لا نجد عنده الشاعر الغزل المأثور الذي يعني بوصف حبّه، وإنما نجد شاعراً يعني بوصف المرأة نفسها وصف احساسها، وكان غايتها من ديوانه ان يصف المرأة وصفاً نفسياً. اذ حول الغزل من الرجل الى المرأة، انما شخص المرأة فهو الموضوع المعروف للغزل، وبعبارة اخرى كانت المرأة قبل غزل ابن ابي ربيعة هي المشوقة، فكثراً الاختلاط بينهن وبين الرجال، علي نحو ما كثراً بين نساء مكة وابن ابي ربيعة. نمثله في تربيته وعواطفه لا يكون اباً حياً، والحوال القصصي جعل الشاعر فيها اسير مدرسة شهيرة من مدارس الفن القصصي في الادب الحديث وهي المدرسة الواقعية التي لا تأتف من تصوير الواقع كما هي، ولو شئنا ان نقولها من الناحية الفنية القصصية، ونستطيع بذلك ان نفهم لماذا لم يكن لعمرو مدرسة في تاريخ الغزل العربي، فنحن لانقرأ ما يصف به امرأة عصره واقبالها علي حديث الرجال وما يكون بينهما وبينهم من رسول، حتى نطلع علي صوره جديدة للمرأة العربية. وهذا القول الذي جاء به شوقي ضيف. ان عمر بن ابي ربيعة لم يكن له مذهب ومدرسة شعرية برأسه مزدوج لأننا نجد جاء فكتاب (كيف أفهم النقد): «هو» عمر بن ربيعة «مؤسس المدرسة الواقعية في الادب العربي وان سبقته امرأة القيس والنابغة الذبياني بقليل من الشعر كان بمثابة الاساس الذي اقام عليه عمر دعائمه مدرسته» انه بوجه عام حب حسي بهيم بالصورة الجميلة ويدرك مذهب الواقعية، لا يعرف اثراً للمعاناة في العلاقة، بل هي في الاستجابة للجمال في كل انواعه وقسماته وبكل الجوارح والأحساس. وتنتقل خطاه في عالم الحس وهياكله المختلفة، والمرأة العربية في عصر ابن ابي ربيعة هي امرأة متحضرة، وقد اتيت لها من الفراغ واسباب زينة الحياة مالم يتح للمرأة الجاهلية. فقد نجد كيف نضت عنها ملابس المرأة المتحضرة وحيها وطبيتها في اشعار عمر بن ابي ربيعة واركان مدرسته الأحوص والعرجي. تحف بها الجواري، ما تقطع به وقتها قطعاً هنيئاً وفي ظل هذا المجتمع الجديد كانت النساء يصنبن شيئاً من الحرية، فكثراً الاختلاط بين الرجال وبينهن، فلا عهد لنا من قبل بشاعر ليحدث بلسان النساء فأباح بما يملأ قلوبهن من غيره، حتى كأنما كان ينجذب اليه للمناسبة الجنسية، وتلتقي المدنيات الي مرّ ويتلقي الي الكريير وكل ذلك التماساً للغزل وطلبًا لمأتاه. وشخصية المرأة عند شعراء الاتجاه الحسّي ثانوية بالنسبة الرجل، وخاصة في شعر عمر بن ابي ربيعة وهي اداة للمتعة وهي مدللة في حب صاحبها الذي يبدو دائمًا قادرًا عليها، فقد اخذ شعر الغزل في المدرسة الحضرية، يتلاعماً مع حياة الناس الجديدة التي تحضرت حتى يقتربوا منهم في لغتهم اليومية ولهذا فقد جاء هذا الشعر قريباً كل القريب من حياتهم ومن مجتمعهم، كما يقرب منها في اللغة التي يتحدث بها الناس. واقترب الشاعر من لغة الكلام العادي، يختلف العروض في ديوان عمر بن ابي ربيعة عن عروض شعراء عالم البداوة ويتميز ايضاً عن عروض شعراء الجاهلية، وبدرجة اقل الكامل والوافر، ويحمل هذا التقرير على الاعتقاد بأن هذا الاثر الشعري مؤلف قبل كل شيء، اما الجانب الاول فهو استخدامه للأوزان الخفيفة، كما يلاحظ من يقرأ الأشعار التي استشهدنا بها فيها، وهي اوزان كانت تلائم الغناء الجديد من مثل اوزان سريع والخفيف والوافر والرمل والمترقيب، والتي في الوقت نفسه تتيح له ما يريد أن يحملها من الحان وايقاعات، ولذلك عنى بهذه الألوان حتى يخفف على المغنين والمغنيات. والصورة العامة في اوزان عمر أنها اوزان سهلة خفيفة، حتى يكون خفيفاً علي هؤلاء المغنين من الأجانب، وان كانت كلها تستهلكها نظرية الزحاف والعلل التي اتي بها الخليل بن احمد، 1. السعي الى المرأة حيثما كانت وبشتى الوسائل الممكنة، وليس كالمرأة من كائن يجمعها معاً. و لا تدخلها المعاناة الا من قبيل السعي الى اللذة، من قريش: اول من تجرأ علي التشبيب منهم ابن ابي عتيق، وهو حفيد ابي بكر الصديق، ويقولون انه كان طاهراً عفيفاً شبه عن غير ريبة، ثم عمر بن ابي ربيعة من قريش والعرجي وهو من قريش ايضاً، وصاروا يعتقدون ان الشعر لا يحس الا به لما فيه من عطف القلوب فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصدود والهجران، يروي ابو الفرج: كانت العرب تقر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الا بالشعر، فانها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر ابن ابي ربيعة، اما ميزة عمر الكريي فهى انها جمع خصائص الغزل التي كانت قبله. وعمر قصر شعره كله علي الغزل، ثم قصر القصائد علي المعانى فانتهي به المعنى. سواء أكانت ابياتاً قليلة او ابياتاً كثيرة». الغزل العذري او العفيف (نشاته)، نحو اواسط القرن الاول للهجرة فيمايلها واخذت بعض شعراء اهل الوبر المعدودين يقول القصائد في مجرد النسيب بل لا يتعاطون غيره وصناعتهم بعيد عن اسلوب شعراء الجاهلية وعن منهج الغزليين عن اهل المدر، فانهم لا يعيشون الا إمرة واحدة، جعلوا عيشهم فداءها ولا يتغزلون ولا يفخرون بنيل وصلها وانما يظفرون في شعرهم رقة القلب وشدة الحنو ويكترون في بيان الصيابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق الم فراق وفترط الحزن والغم واليأس وكل ذلك مصوغ في قالب رشيق،

وكلام لطيف عفيف لا يدخل فيه شيء من الخلاعة والشهرة الدينية فالغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المسلمين كانت تخرج وتذهب مذهب التقى، وتأثير السلامه والعافية على المقاومة والمخاطرة، وترى ان النفس امارة بالسوء "ان النفس لامارة بالسوء" وان النار قد حفت بالشهوات علي حد تعبير الحديث الشريف " و انه من الخير لها ان تصبر. " و ان تلتزم ما امر الله به ان يلتزم وليس عفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله. اما الغزل العذري التعبير الفني الشعري عن هذا الحب. انه هذه الثروة الشعرية التي خلقتها لنا النقوس المحبة التي تدرعت بالآيمان واجتمعت بالعلة. ولنا ان نقول اذن ان الغزل العذري هو المظهر الفني للعواطف المتعففة والمتألبة في آن معا والتي وجدت ان هذا التعويض الفني هو خير ما تطفيء به لهما وتسامي به في غرائزها ولادة الغزل العذري وعوامل نشأته او ظهوره: قد يكون من العيب ان تحدد ولادة هذا الفن الشعري ذلك انه ظاهرة من الظواهر الفنية التي ترتبط اشد الارتباط بالظواهر الاجتماعية. ومثل هذه الظواهر تمتنز با أنها ليست منفصلة عما قبلها ولامنفصلة عما بعدها. وليس في صورتها المكتملة التي نراها عليها ما يبيح لنا ان نقول أنها نشأت في هذا العصر او استوت في هذه الفترة. وكان الاسلام اقوى العوامل في ظهور هذا النوع من الغزل، فيما دعا اليه من جهاد النفس، وتهوينه لعذاب الاخرة، وكانت مقاومة النفس للهوى اكبر ظاهرة تجلی فيها زهد هؤلاء الغزلين من المتعاج الحسي، حتى كان بعضهم من الزهاد والاتقاء وفي بيان تأثير الاسلام في ظهور هذا الجنس نقوم بدراسة حياة البدوين في العصور الاسلامي(الاموي) والجاهلي علي حسب ما جاء به طه حسين في حديث الاربعاء: يكفي ان توازن بين حياه البدو بعد الاسلام وقبله، ولكن هذه الفروق تکاد تقصر على الحياة المعنوية وحدها. فلم تکد الحياة المادية تتغير عند هؤلاء الناس بعد الاسلام، وانما كانوا في ظل الخلفاء كما كانوا في عصر الجahili: يخضعون لقوانين البداوة ويقادون من شفطها وخشونتها مثل ما كانوا يقادون في العصر الجاهلي. ذلك لا نهم لم يكونوا يشتراكون في الحياة السياسية، فان فعلوا لم يكونوا يحتفظون بالحياة البدوية. اريد اuba الصدقة والزكاة، فقد كانوا قبل الاسلام احرارا لا يؤدون اتاوة ولا يخضعون لنظام الا ما اصطنعوا لا نفسهم من نظمهم الخاصه فيما بينهم. وهو ان الاسلام قد اخذ على هؤلاء الناس شيئا من طرق الكسب التي كانت مألوفة في الجahili، لأن الاسلام اقر السلام بين القبائل البدوية وحال بينهما وبين ما كانت تتخذه مجددا وشرفا ومكسبا من الغزو وضروره الاغارة. فلم يكن يباح للقبائل بعد الاسلام ان تتغاري ويغير بعضها على بعض، كما كانت الحال في الجahili. ولم يکد يضعف سلطان الخلفاء ولم يکد الخلفاء ينصرفون الى تدبیر البلاد المفتوحة حتى انتهز اهل البايدية هذه الفرصة، لم تتغير اذن حياتهم المادية في جملتها، اما حياتهم العقلية والمعنوية بنوع خاص فقد تغيرت تغيرا شديدا. بحياة بدوية اخرى متأثرة بالقرآن الكريم وما فيه من دين وخلق وادب وحكمة ونظام، لتشعر بالفرق بين نفسيه البدوي المسلم في الاول عهد الناس بالاسلام ونفسه البدوي الجاهلي. تبعه شيء من الامل في حياة اخري ليس واضحا في هذه النقوس الساذجة وضوحيه في نفوس اهل الحضر ومن هذا اليأس والأمل تكون لهؤلاء البدو مزاج خاص لا هو بالبدوي الغليظ ولا هو بالحضري الرقيق، وانما هو شيء بين بين. كما تتوافق له شروط اخري في خارجه، انتج لنا نموذجين اثنين من الشعر: طفت عليه نزعه الحب الوصفي. هو جميل بثينة، فهو ذو الرمة، اتخاذ عناصره من اشياء البايدية. وبمقتضي هذه النظرية الاشتراكية التي تطابق بين الحياة والشعر، زمن نشاته: لأن شعرا هذا العصر وان كان قد اثر عن بعضهم انهم تغلزوا في امرأة بعينها، ولكن غزلهم لم يكن فنا قائمها بذاته، ولم يكن معروفا في ذلك الوقت ان شاعرا كان شعره قاصرا علي الغزل، ومن شأن هذا ان يغلب الناس علي كل شيء. وبالرغم من ان الانعتاق من بعض الحدود والتحلل من بعض النواحي والتحرر من بعض الشدد وجد مجالا في العصر الاموي باكثر مما كان في عصر الراشدين. وحذاهم هذا الطموح الي ان يكون لهم تفكير جديد في الادب. ونشأ عنها الغزل الماجن لا تعرف الا الصحاري والفراغ والضجر. وانما عرف من احبوها بطريقته". كيف يمكنه كتمان ما هو في جوهر حياته ولا يستطيع ان ينشر همسة واحدة حوله؛ والأمر مع ذلك يبدو بسيطا. هذا من نحو. معا الا في عصربني امية. لهذا الغزل العذري وان تنفتح وان تزدهر، وان تشقق ازهارها عن الثمرات الطيبة من تاريخ الادب العربي. لذلك لن تستغرب ولادة هذا الغزل في العصر الاموي، ولن نقول في انفسنا ما بال هذا اللون من الفن لم تتنفس به الجزيزة في عصر الخلفاء. وخالفت دماءه وظللت طريقه. وفي هذا العصر ايضا همدت ريح الفتوح وانقلبت هذه الفتوح من عمل جماعي يتدقق من كل ارض الجزيرة ويتجتمع في هذه التيارات الي عمل حكومي تنظمه الدولة وتشرف عليه وتأخذ نفسها باعداده والاختيار له، وتركز له وقته وتدعوه اليه وتلتزم الناس الحرب مرة والاستقرار مرة. ففي هذا العصر اذن آن لنا ان نستمع الي انغام هذا الغزل الي دقات او تاره الاولى. اما قبل ذلك فقد كان المجتمع الاسلامي يخضع لهذه الظروف القاسية التي لا تتيح له ان يصرف قواه العاطفية جميعا في غير حركة التوسيع هذه التي كانت ابتلاء لهذا المجتمع الناشيء واختبارا لقواه. ومن كل هذا نستطيع ان نقول ان ولادة الغزل العذري لم تكن حادثة ذات تاريخ محدد. وقد

وقد هذا الغزل نموه في العصر الاموي ولكن الدكتور الحوفي يؤكد انه نشأ في العصر الجاهلي واورد على ذلك شواهد في قصائد مستقلة للحب الحالص لا شيء فيها سوى الغزل منها لقيس بن الحدادية قصيدة غزلية في اربعة واربعين بيتاً واحرى لحسان في سبعة عشر بيتاً وهذه القصائد اثر الغزل المادي فيها ضئيل، فنحن نرى للنابغة الذبياني قصيدة من هذا النوع يتغزل بحبيتهنهم، الوحدانية، ومجنون ليلي، وفقيس لبني وهكذا. ومادام هؤلاء يحبون امرأة واحدة فهم يحبونها لذاتها لا للجمال الذي تتمتع به ولا يجدون عوضاً عن هذا الحب فالحب هنا عاطفي وفيه. ولا تزيد الايام الا رسوخاً، ولسانهم لا يزال يردد اسم الفتاة، وهاتان الصفتان البارزتان عند العذريين، الوحدانية في الحب وحب المرأة لذاتها تفسران لنا الصفة الثالثة فيه، وهو انه حب عنيف يستحوذ على تفكير المحب، وإنما يمضى بصاحبها في كل حيز خشن صلب، ويقذف به فوق الرمال المشوية يشتوي بها ، حب زاهد او يأس، والقنوط وخيبة الامل وزهد العذريين من هذا النوع الثاني، حين تهب عليها رياح التقاليد البدوية، الى هذه الشكوى المريضة التي تجتاح افتدتهم، ليجدوا العزاء في الوفاء للعهد. فالحب العذري حب ظamente عفيف يشكو من ألم الحرمان من غير تصريح ظاهر او اباحتية مسرفة، لغة هذا الغزل "هنا لغة جزلة فيها من خشونة البداوة وجفاف التقاليد، الطوابع العامة للغزل العذري: يتصف شعر العذريين بوضوح الحب والحرقة والآلم والاخلاص وصدق العواطف ونبالها، فالحب العذري لا يخرج عن ان يكون صراعاً بين الجسد والروح يتحول في نفس العاشق - لأسباب شخصية او اجتماعية او اقتصادية - الى رغبة مكتوبة، وهي رغبات كان العشاق العذريون يتسامون بها فوق مستوى الغرائز ويرتفعون بها فوق مستوى الشهوات ويستعلون بها فوق رغبات الجسد. ويري الدكتور شكري فيصل: فان الغزل العذري ينطبع بهذه الطوابع العامة: 2. الصدق النفسي، حيث يتجه الشاعر الى الحب وحده دون التواء. اصحابه: ويدعى بمجنون ليلي، اعد الليالي ليلة بعد ليلة التي احبها، يقر بعيوني قربها ويزيدني بها كلها من كان عندي يعطيها بأول نفس غاب منها حبيبها 3- عروه بن حزام العذري، ومن شعره: ما بي من خبل ولا بي جنة فانك ان داويتنى بطبيب و ونسطيع ان نذكر: تويبة بن الحمير، ويزيدبن الطئرية، و.. وكانت لكل منهم قصة حب لاتختلف في اطارها العام عن قصص العشاق الجاهليين، ولكنها عند ما كانت تصل الى العقدة تتشعب بها السبيل، فاما ان يتزوج المحب من محبوبته، واما ان يتذرع عليه ذلك فيهم في هذه الحال علي وجهه الي ان يلقي مصيره المحظوم. وحتى الذين تزوجوا لم تدم لهم السعادة الزوجية اذ سرعان ما انفصلت عراها لضفوط عائلية تاركة الحب في القلوب يؤججها وكان خيال الرواية يأبى الاجماع بين المحبين - في بعض الأحيان - من جديد بأساليب ووسائل ظاهرة التكلف والغرابة لما فيها من خروج على ابسط قواعد العرف والتقاليد العربية واذا كان لابد من تنصيب زعيم لشعر الغزل بنوعيه فلانجد مناصاً من الاعتراف لعمر بن ابي ربعة بهذه الزعامة داخل في الاخبار الاسطورية؟ لقد بقي هذا الموضوع نائماً في ضمير الادب العربي حتى الفترة الاخيرة - لسنوات خلت - حينما اقدم الاديب السوري د صادق جلال العظم على اصدار كتابه (في الحب العذري) او بالاحرى في محاضرته عن هذا الحب، كما نفى ان يكون هؤلاء شعراء صادقين في تعبيرهم وشعرهم، الذي استعمل - كما يقول - على موصفات جسدية صريحة لا تنسم مع المقومات التي تعارف عليها النقاد والشعراء بقصد هذا الحب. يؤديان الى نكران قسم كبير من الشعر العربي القديم. فانما يجوز على اساس البحث عن الجذور، ومقوماته الحقيقة والمواعي الثابتة لمظاهره ومشاعر أصحابه، وفي الختام ارى من الضروري ان اذكر ان هناك الى جانب هذين النوعين من الغزل كان نوعاً آخر يسمى الغزل الكيدي او الهجائي. وهذا النوع من الغزل كان يتخذ الغزل والنساء وسيلة للاهداف والاغراض السياسية يستمد منه الشعراء كآلة للنيل من اعراض خصومهم. وفي شأن زمن نشأة هذا الجنس يختلف العلماء، ويتبين عبد المنعم خاجي جذوره في الجاهلية ويأتي بالشعراء الذين يمكن لنا ان نجد لهم اشعار قد انشدوا في هذا الجنس مثلاً يقول " وقد لج بين قيس بن الحظيم وعبد الله بن رواحة فتغزل الاول بعمره اخت عبد الله ولكن غزله كان عفيفاً . وبين حسان وقيس بن الحظيم حدث شيء من هذا فان حساناً في معرض فخره على الاول تغزل بليلي اخت قيس. فان كعب بن الاشراف اتخذ من الغزل الكيدي وسيلة الى تجربة المسلمين والتنفير عليهم و. وهنا الاحظ شيئاً يكاد يختص به عبد الله بن قيس الرقيات: وهو انه صاحب لهو وسياسة، وانه اتخاذ الغزل الى اللهو والسياسة. وكان يتغزل حيناً آخر لا للهو ولا لوصف حب صادق، بل ليبعث بخصوصه السياسيين، اذ يذكر نساءهم بما يحسن وبما لا يحسن. والعرجي يتغزل بجيداء ام محمد بن هشام، فسن له واغيره هذه السنة. وهذا موضوع خصب يحتاج الى دراسة شاملة ومنهجية. الخاتمة أو النتيجة: ان الغزل ازدهر في العصر الاموي ازدهاراً بحيث قد عرف الحجاز عرف بهذا الجنس آنذاك وهذا الامر ساق الباحثين بان يروا: ان الغزل وليد العصر الاموي فحسب دون ان يرتبط بالعصور الماضية. لأننا في دراسة الاجناس الادبية عند الامم المختلفة نرى ان الاجناس الادبية قبل ان ظهرت في اطارها الناضج كانت موجودة عند الشعوب والامم بصورة الشعبية او العامية او البدائية المتناسقة مع احوال الشعوب

وطبيعتهم وأوضاع حياتهم ونحن لا نستطيع ان نستثنى الامة العربية او الادب العربي عن هذه القاعدة الكلية. ومن هذا نستطيع ان نستنتج: ان الغزل كان موجودا في العصر الجاهلي وكان معروفا لدى الشعراء الجاهليين ولكن انه كان مقصورا في مستهل القصائد وفي اثناء الاغراض الشعرية الاخرى وفي الواقع انهم يأتون بالغزل ويعبرون ان عواطفهم في الحب دون ان ينفردوا القصيدة له او حياتهم الشعرية له. ولكن في العصر الاموي وفي بيئه الحجاز نجد الشعراء انهم قد قصرروا شعرهم وحياتهم في الغزل فحسب ولا يتعاطون الاغراض والفنون الشعرية الاخرى بحيث قد نصح هذا الجنس الشعري عندهم وانطبع بطابع حياتهم اليومية واكتسب الخصائص الجديدة لم تكن الموجودة في غزل الشعراء الجاهليين وانهم افروزا قصائد في الغزل وعرفوا بهذا الفن الشعري. وطبعي انهم قد استمدوا مادة شعرهم الاولى عن الجاهليين وعن اجدادهم ولكن زادوا فيها خصائص الجديدة منطبقة مع حياتهم الجديدة المترفة المغنية او الغنائية والعناصر الاجنبية الموجودة في بلادهم وقللوا عن ابياتها وخففوا عن اوزانها، وبما ان هذه الخصائص الجديدة لم تكن موفورة في غزل الجاهليين المقصور في مستهل القصائد لذا قيل انه قد ولد في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا قول ورأى يمكن الاستناد عليه. ولكن هناك امر آخر يلفت النظر وهو انقسام هذا الجنس الشعري الى الغزل العمري والبدوي.